# ابيات العادات (١)

من ابيات العادات قول الشاعر

يهب الجلاد بريشها ورعاتها ... كالليل قبيل صباحه المتبلج

وهو مبني على عادة كانت لملوك العرب ذكرها الجاحظ وذلك انهم كانوا يغرزون الريش في اسنمة جمالهم يحمونها بذلك لشرف اصحابها ومنه يظهر لك المراد من قولهم في احاديثهم « يرجع الغلامة من عند النعمان وقد وهب له مائة من عصافيره بريشها » . والعصافير ابل كانت للملوك نجائب وفي لسان العرب « وأعطاه مائة بريشها قيل كانت الملوك اذا حبت حباء جعلوا في أسنمة الابل ريشاً وقيل ريش نعامة ليعلم انها من حباء الملك وقيل معناه برحالها وكسوتها وذلك لان الرحال لها كالريش » اه .

واما قول ذي الخرق الطهوي

لما رأت إبلي حطت حمولتها ... هزلى عجافاً عليها الريش والخرق

قالت الا تبتغي عيشاً تعيش به ... مما تلاقي فشر العيشة الرنق

وقول الآخر

كأنها ريشة [illegible] جرد ... في حيثما ضربته الريح ينصرف

فيتبين مما تقدم إلى المعنى ان هذه الابل قد دبرت ظهورها لانهم كانوا اذا ظهرت دبرة بظهر بعير غرزوا في سنامه إما قوادم نسر اسود واما خرقة سوداء لتفزع الغربان فلا تسقط عليه لان الغراب مولع بنقر الدبر ونقرها حتى يبلغ الدأيات وهي عظام الكاهل ولهذا سمت العرب الغراب ابن دأية .

( ومنها ) قول الحرث بن حلزة اليشكري في معلقته

عنتاً باطلاً وظلماً كما تعتر عن حجرة الربيض الظباء

الحجرة الناحية والمراد بها هنا موضع الغنم وأصل العتر الذبح في رجب وكانت العرب [illegible] لآلهتها فيقول احدهم ان [illegible] لله مائة شاة ذبحت عن كل عشرة شاة في رجب ويسمى هذا الذبح العتيرة والرجبية وهو مما نهى عنه الاسلام . والبيت مبني على عادة كانت لهم وهي ان الرجل كان اذا ضن وبخل بالغنم صاد الظباء فذبحها عوضاً

(١) راجع ما كتبته في صفحة ٥١٠ من مجلد السنة الماضية

عن الشاء والمعنى انكم تطالبونها بدوب كبيرة كما تدع الشاء بدل عمر . وقول كعب بن
زهير في رثاء ... [illegible]

أذركم والنذور ... [illegible] إذا ... [illegible]

كانت ... [illegible] ... [illegible]

فاعتر الشاء ... [illegible] ولا الحسون لفرطها ...

معناه ... [illegible] والقسم في أخذ ذلك شيء من ... [illegible] كما تدع الشاء بدل
العتر وهو مثل ... [illegible] من ... [illegible] فطرحك هذا
المطرح فوالله انك من قوم ما يحمونك ... [illegible] وهو محمود ... فقال أعطي
الله عهداً ... [illegible] ليس فيهم أعور ولا أعرج ... [illegible] قومه فوفوا له
بما قال

ومنها قول عروة بن الورد العبسي صاحب ... [illegible]

والي وإن عشرت من خشية الردى ... [illegible]

عشر ... [illegible] عشر ... [illegible] عشر ... [illegible]
معشر ... [illegible] وكانت عادتهم ان الرجل منهم ... [illegible] ... [illegible]
وضع يده ... [illegible] فنهق عشر ... [illegible] ... [illegible] من
من ... [illegible] . وكان عروة ... [illegible] عشروا ... [illegible]
يفعل فعلهم .

ومنها قول امرئ القيس بن حجر من قصيدة يصف بها رحلته الى قيصر

اذا قلت روحنا ارن فرانق ... [illegible] على جامد ... [illegible] الا ... [illegible]

على كل مقصوص ... [illegible] ... [illegible] بريد ... [illegible] من خيل بربرا

الفرانق الذي يدل صاحب البريد على الطريق ... [illegible] ... [illegible]
وقد ... [illegible] كانت هذه الخيل ... [illegible] الاذناب ... [illegible] كان من عادتهم قص
اذناب ... [illegible] البريد ... [illegible] قول الفرزدق

... [illegible] أن أذنا ... [illegible] ... [illegible] قتل ابن حازم

وما ... [illegible] الا ... [illegible] الى الشاء فوق الشاحجات الرواسم

تبدت في ... [illegible] محذفة الاذناب ... [illegible] القوادم

يعني بالشاحجات البغال ... [illegible] البريد كما في ... [illegible] . واما الخيل فكانت

خاصة ببرد ملوك العرب في الجاهلية ولهذا ذكرها امرؤ القيس في بيته المتقدم لانه كان ملكا يريده الخيل اما تخصيصه خيل بريد بالذكر دون سواها من خيل العرب فقد قال عنه ابن رشيق في العمدة كانت الخيل البريدية تهلب اذنابها كالبغال لتدخل مداخلها في خدمة البريد وليعلم انها كذلك اه قلت لعل ذلك كان لعلامتها كما قدمنا واما قص اذنابها فربما كان للاعلام بانها بريد ولا يبعد انه كان يطلب الخفة في العدو كما كانوا يعقدون شعر الاعراف والاذناب في الحرب قال الشاعر

عقدوا النواصي في الطعان فلا ترى في الخيل اذ يعدون الا ازبا

وقال المتنبي

ويوم جلبتها شعث النواصي معقدة السبائب للطراد

والسبائب جمع سبيبة وهو شعر الذنب ويجوز ان يكون لسبب آخر لم اقف عليه .
ثم اعلم ان عادة قص الاذناب كانت خاصة عندهم بخيل البريد دون عامة الخيل فانهم كانوا يستحسنون طول اذنابها ويتمدحون به كما قال النابغة

وكل مدمج كالسيد نهد يقي اوصاله ذنب عسوف

وكما قال امرؤ القيس

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

الفرج الواسعة التي بين الرجلين قال ابن رشيق اراد طوله لان العروس تجر ذيلها اما حياء واما من الخيلاء اه . قلت وعندي ان امرأ القيس لم يصب كل الاصابة في هذا الوصف لانهم كانوا يكرهون من الفرس ان يكون قصير الذنب وان يكون طويلاً يطأ عليه فاينه حرفه هذا في ما قال في معلقته

ضليع اذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الارض ليس بأعزل

فوصف ذنبه بالطول لا انه جعله فويق الارض لانه اذا بلغها وطئه برجليه وربما عثر به وذلك عيب ومنه يظهر لك ما في قول البحتري من الخطأ في الوصف

ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل

(ومنها) قول انس بن مدرك

اني وعقلي سليكاً بعد مقتله كالثور يضرب لما عافت البقر

لان العرب كانت اذا اوردت البقر فلم تشرب لكدر الماء او لقلة العطش ضربوا الثور ليقتحم الماء لان البقر تابعه كما يتبع الشول الفحل وكما تتبع اتن الوحش الحمار وكانوا

يزعمون ان الجن هي التي تصد الثيران عن الماء حتى تمسك البقر عن الشرب فتهلك .
وقال الجوهري ان البقر اذا امتنعت عن شروعها في الماء لا تضرب لانها ذات لبن وانما يضرب الثور ليقتحم الماء فتتبعه البقر في الشرب . وقيل اراد بالثور ثور الماء وهو الطحلب اذا ورد القطيع من البقر الماء وصدها عنه الطحلب ضربه ليفحص عن الماء فتشربه ويكون ذكره هنا بعد البقر الاشارة الى الدافع .

ومنه قول الاعشى

لكالثور والجني يضرب ظهره      وما ذنبه ان عافت الماء مشربا

والجني هنا اسم الراعي لا الواحد من الجن في قول .

(ومنها) قول النابغة

لكلفتني ذنب امرئ وتركته      كذي العر يكوى غيره وهو راتع

هكذا رواه الاصمعي ورواه ابن الاعرابي (حملت علي ذنبه وتركته) والعر هو الجرب يبدو في مشافر الابل وقوائمها والبيت مبني على عادة كانت يفعلها جهال الاعراب فكانوا اذا وقع العر في ابلهم اعترضوا بعيراً صحيحاً فكووا مشفره وعضده يرون انهم اذا فعلوا ذلك ذهب العر من ابلهم كما كانوا يعلقون على الصحيح كعوب الاراك خشية العطب ويطوفون على لحي الابل لئلا تصيبها العين هذا قول الاصمعي وابي عمرو واكثر العلماء كما ذكره ابن السيد في الاقتضاب وقيل انما كانوا يكوون الصحيح لئلا يعلق به الداء لا ليبرأ السقيم وقيل هذا امر لم يكن وانما هو مثل لا حقيقة . وقيل اصله ان الفصيل اذا اصابه العر فسد فيكوى امه حتى يبرأ فيكوونها صحيحاً لان ذلك الداء ما كان يسرع اليه فيبرأ قاله ابن السيد وهذا اغرب الاقوال واقربها الى الحقيقة

(ومنها) قول عبد الله بن عنمة الضبي

لو كنت جار بني هند تداركني      عوف بن نعمان او عمران او مطر

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم      شدوا العناج وشدوا فوقه الكرب

وذلك لان العرب كانت اذا ... الامر عقدت خيوطا

(ومنها) قول الشاعر بن عمرو التنوخي

يلذ بلذة الشراب وان      كان قطا كانه العسل

حتى ارى الرس المموت في      ... كأنها الابل

وليس المراد التمثيل من الحي بحرمة جواره ، ولا تشبيهه باحد الاخيار كما هو ظاهر لمن
نظر . بل بيان عادة كانت لهم وهي ان الواحد منهم اذا اصيب بوتر كان يعقد في نفسه
نذراً في مجانبة بعض اللذات

( ومنها ) قول مرة بن محكان التميمي في وصف ناقة نحرت وهو من شعراء الحماسة

وناقة بت ربات مكرمة ... يا امرها الراحم عرضها الكسا
اعطيت جازرها الى سنامها ... فصار جازرها من فوقها قتبا
ينشنش الجلد عنها وهي باركة ... كما تنشنش كفا قاتل سلبا

ينشنش اي يكشف ويفرق قال التبريزي في شرحه قال ابو محمد الاعرابي قال
قال : قال وهي باركة ولم يذكر وهي مضطجعة وليس شيء من الحيوان يسلخ الا
مضطجعا فيقال له من عادة العرب انهم اذا نحروا الناقة وخشوا ان تضطجع وقدها
الرجال من جانبيها حتى تموت وهي باركة وذلك ليجزروها وهي باركة فانه هو
خير من جزرهم اياها وهي مضطجعة في جانب فاذا ماتت جزروها والجازر ان يحزوا
اصل العنق . اي تنكشف حتى يشترى العنق ولا قطعه ، كما وقد صدره ثم يكشف فيها
الرجال فيكشف السنام سحلات وذلك ان يكون احدهما من جانبها من ذي والآخر من
الشق الآخر والجزار من قبل الكشفين والجزار من قبل العجز فثلاثة من جانب وثلاثة
من جانب والسالخ واحد وهي باركة

( ومنها ) قول القائل

اذا التقى واحتبى بالسيف دان له ... شوس الرجال خضوع الجرب للطالي
كانما الطير منهم فوق هامهم ... لا خوف ظلم ولكن خوف اجلال

احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامته او بيديه ومنه الحديث الاحتباء حيطان
العرب اي ليس في البراري حيطان فاذا ارادوا ان يستندوا احتبوا لان الاحتباء
يمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار وقوله احتبى اي جلس في النادي والبيت مبني
على عادة كانت لهم ذكرها التبريزي في شرح الحماسة انهم كانوا يحتبون بالسيوف عند
عقد جوار او حرب او لسماع رئيس وما يجري هذا المجرى لان السيف في امثال هذه
الاحوال ربما مست الحاجة اليه ولذلك قال جرير

ولا يحتبي عند عقد الجوار ... من السيوف ولا يرتدي

وفي غير هذه الاحوال لا يحتبون بالاردية واشباهها

(ومنها قول حاتم)

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ويحيي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت اختار القرى طاوي الحشا ... محافظة من ان يقال لئيم
واني لاستحيي يميني وبينها ... وبين فمي داجي الظلام بهيم

المعنى اني أقري الضيف وأطوي الحشا لاني اوثره على نفسي . وقد يسأل عن مراده في البيت الثالث ولم كنى بالاكل في الظلمة والجواب انه يلمح من كرام العرب الضيف ان يخدم ويطفأ النار ويمسك عن الاكل ويوهم الضيف انه يأكل ليشبع الضيف

(ومنها قول الفرزدق)

وما كعامة الادواة اجيرت ... الى الصوت المجرى الجرائم
وساد تحاموه له مثل رأسه ... يسيل عليه الماء بين الصرائم
على حالة لو ان في القوم حاتما ... على جوده لضن بالماء حاتم

الصحاري المفازة بالفصيص وكانت عادتهم اذا كانوا في فلاة وقل الماء ولم يوجد معهم الا مقدار يسير يقتسمونه بالحصاة وهو ان يضعوا في الاناء الكبير حصاة ويسكبون فيه الماء بقدر ما يغمر الحصاة فيعطاه كل رجل منهم وقصة كعب بن مامة في المقاسمة وتفضيله الرفيق على نفسه حتى مات عطشا مشهورة وبه ضربوا به المثل في الجود وهو الذي عناه جرير بقوله لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

وما كعب بن مامة وابن سعدى ... بأجود منك يا عمر الجوادا

وفي هذه الابيات جرّ لفظ حاتم والوجه رفعه على انه فاعل نفس وتحكيهم روه هكذا فما قرأ في نية القطعة وخرجوه على انه بدل من الهاء في جوده وهو في ذلك خلاف وكلام طويل ليس هذا موضع استيفائه ولو حيث نكتت الخبر رفعه على الاتباع خفضا ثم نكته . وقال الشارح في الاقصى القريب ويروى (ضنت به نفس حاتم) ولا اشكال حينئذ والظاهر ان هذا اصلاح للرواية انتهى كلامه

(ومنها قول القائل)

لا در در رجال خاب سعيهم ... يستمطرون لدى الازمات بالعشر
أجاعل انت بيقورا مسلعة ... ذريعة لك بين الله والمطر

العشر بفتح العين والشين المعجمة ضرب من الشجر والبيقور البقر وكانت عادتهم

في الجاهلية الاولى انهم اذا استسقوا جعلوا السلع والعشر في اذناب البقر وعقدوها واشعلوا فيها النار وصعدوها من الجبال فيجيء المطر ويظنون في زعمهم وتسمى هذه النار نار الاستمطار . والبيت الثاني ذكر صاحب القاموس في مادة (سلع) ان فيه قصة اطلاعه لم يبينها هو ولا شارحه ويبينها السيد عبد الرحمن العبادي على ما يظهر له وذكرها صاحب خلاصة الاثر في ترجمته وكلها اوجلها ليس من القاعد في شيء والله اعلم

القاهرة    احمد تيمور

# كتاب الف با

وقفنا خريف السنة الماضية في مخطوط عند الشيخ امين الجوري العراقي من فضلاء جبل لبنان المبرزين عنوانه « الجزء الاول من كتاب الالباء في الف باء » نسخه ناسخه في ثالث رجب الفرد لسنة الف وهو مما وقفه احمد باشا الجزار على مدرسة جامعه نور الاحمدية في مدينة عكة « عكا » التي كان لها في ماضي الايام شأن مذكور ولا يوجد فيها الآن من امهات الكتب سوى بعض المخطوطات لان الثورات الاهلية التي طار شرارها في القرن الثالث عشر تناولت خزائن الكتب القيمة وفرقتها ايدي سبا وتجد اليوسفية صالحة منها محفوظة في الخزائن السلطانية .

وقد علمنا صديقنا صاحب المقتبس من هذا الكتاب فأرسل اليه من نفس المؤلفات التي طبعت في مصر وبعث الينا بالجزئين الاول والثاني منه من مكتبة سليم البدري العارف من علماء دمشق لنطالعهما ونكتب عنهما بحثاً ولولا ان عاد غيب عنا هذا الطلب وشجعنا بقوله : ما كل مخطوط مفيد ولا كل مطبوع يفيد الناس لرأينا نقل الى قراء المقتبس بعض فصوله وهذا محال لا ان نشكر الاستاذ البدري على حواشيه التي علقها على الكتاب بكلمات العقود المفيدة في جيد مادة حسناء اما المطبوع فقد طبع سنة ١٢٨٧ هجرية على نفقة جمعية المعارف التي طبعت ١٠٠ كتاب من طرازه

قال الشيخ الفقيه المحدث الزاهد الحاج ابو الحجاج يوسف بن محمد البلوي عرف بابن الشيخ بعد البسملة والحمدلة والصلوة اما بعد دام لنا ولكم السعد فاني عزمت بعد استخارة ذي الطول ومن بيده القوة والحول ورغبتي اليه في السداد في العمل والقول على ان اجمع في هذه الاوراق كل معنى رق او راق مما هو عندي مستحسن